توظيف الدلالة المعجمية عند اللغويين العرب المحدثين دراسة دلالية

م.م. فاطمة عبد الرضا محمد الحسيني
جامعة بغداد كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية
fatima.Abd2303m@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

أ.م. د. زينب هاشم حسين
جامعة بغداد كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية
zainab.hashim@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى دراسة الدلالة المعجمية في ضوء علم الدلالة التطبيقي من خلال تتبّع آراء اللغويين العرب المحدثين، والكشف عن طبيعة العلاقة التي تربط المعنى المعجمي بالسياق اللغوي والاستعمال الفعلي، وتهدف الدراسة إلى الكشف عن المعنى المعجمي بكونه لا يُعدّ وحدة دلالية منفردة بذاتها؛ بل يمثل قاعدة أولية تتفاعل مع مستويات لغوية أخرى كالمستوى (الصرفي، والتركيبي، والسياقي) لتنتج المعنى الكلي للنص كما تحاول الدراسة إبراز التحوّل الذي شهدته النظرة إلى الدلالة المعجمية في الدرس اللغوي الحديث، من مفهوم ثابت ومجرّد إلى مفهوم دينامي يتشكل

وفق شروط الاستعمال. وتعتمد الدراسة المنهج الوصفي التحليلي استنادًا إلى نماذج تطبيقية تُبرز أثر السياق في توجيه المعنى المعجمي.
الكلمات المفتاحية: الدلالة المعجمية، علم الدلالة، الدلالة السياقية، المعجم العربي، التحليل الدلالي.

The Use of Lexical Semantics among Modern Arab Linguists: A Semantic Study

zainab.hashim@ircoedu.uobaghdad.edu.iq
fatima.Abd2303m@ircoedu.uobaghdad.edu.iq
University of Baghdad, College of Education, Ibn Rushd, Department of Arabic Language

Abstract:
This study examines lexical semantics in light of applied semantics, by tracing the structure of several modern Arabic linguistic forms, and revealing the nature of the relationships that correspond to the lexical in the linguistic context and actual usage The study is based on the premise that lexical meaning is not a self-contained semantic unit, but rather represents a primary basis that interacts with other linguistic levels such as morphology, syntax, and context The study also attempts to highlight the transformation that has taken place in the view of lexical meaning in modern linguistic studies, from a fixed and abstract concept to a dynamic concept that is shaped according to the conditions of use The study adopts the descriptive analytical approach based on applied models that highlight the impact of context in guiding lexical meaning.

Keywords: Lexical semantics, Semantic, Contextual semantics, Arabic lexicon, Semantic analysis.

المقدمة:

تتمحور هذه الدراسة حول إشكالية علمية تتجلى في التداخل بين الدلالة المعجمية وغيرها من أنماط الدلالة اللغوية، الأمر الذي أفضى إلى اختلاف الباحثين في تحديد طبيعتها بين الثبات والتغيّر تبعًا للسياق والاستعمال، وتنبع أهميتها من محاولتها الكشف عن حقيقة هذه العلاقة من خلال تحليل التصورات الحديثة وربطها بالتطبيق النصي بما يسهم في إعادة تقويم وظيفة المعجم في تفسير المعنى كما تسعى الدراسة إلى بيان مدى قدرة المعاجم على مواكبة التحولات الدلالية التي تطرأ على الألفاظ في البيئات المختلفة، وتستمد الدراسة قيمتها عبر عرضها لآراء اللغويين العرب المحدثين واستثمارها في بناء رؤية تحليلية متماسكة.

ويعرّف الدكتور إبراهيم بن مراد الدلالةَ المعجميةَ بأنّها امتلاكُ المفردةِ دلالةً خاصّةً تستقلّ بها خارج السياق؛ إذ إنّ الوجهَ الداليّ للمفردة، بمكوّنَيْه الصوتي والصرفي، لا يكفي وحده لتكوين الدليل اللغوي، بل لا بدّ من اقترانه بوجهٍ مدلوليّ، حتى يتحقّق للدليل كونه دليلاً لغويًا بحقّ (مراد:1997م ،ص20-25) (برياق:2012،ص 64) يُشير فايز الداية إلى أنّ المعجم، يمثل المرجع الأساس الذي يضم ألفاظ اللغة وما يمكن تدوينه منها، ويصف أحوالها من حيث المعنى والدلالة. فالتراث المعجمي العربي - كما يرى - يتميز بقدرته على حفظ اللفظ ودلالته الأصلية، مما يتيح للباحث إمكانية استجلاء معاني الألفاظ وما يتصل بها من ظلال دلالية. ويرى أن المعجم يقدّم لنا الصورة الأساسية للدلالة قبل أن تخضع للتطور

أو التأويل السياقي، ولهذا فهو يعدّ المرتكز الأول في فهم المصطلحات كما استخدمها النقاد العرب، ولا سيما في الربط بين مصطلحي اللفظ والمعنى (الداية:2009م ص4140) يرى الدكتور فايز الداية أنّ الدلالة الأساسية أو المعجمية هي جوهر المادة اللغوية المشترك في كل ما يُستعمل من اشتقاقاتها وأبنيتها الصرفية، فهي تمثل الأصل الدلالي الثابت الذي تتفرع عنه المعاني المجازية أو الثانوية، ويضرب مثالًا لذلك بالجذر (طَحَنَ) الذي يدل في أصله على حركة وضغط لتحويل الحبوب إلى مسحوق ناعم بالرحى، وهي دلالة حقيقية مباشرة تمثل النواة الأولى للمعنى، ثم تتسع لتُحمل على دلالات مجازية متعدّدة بحسب السياقات المختلفة (الداية:2009م ص20_21) إذ يرى الداية أن الدلالة المعجمية لا تقتصر على معنى الجذر اللغوي وحده؛ بل تمتد لتشمل الأبنية الصرفية التي تُشتق منه، فيتضمن كلَّ بناء إضافة دلالية خاصة تُسهم في تحديد المعنى العام للمادة، فالدلالة الأساسية للفعل (طَحَنَ) يدخل في أبنية صرفية كثيرة تكتسب معاني فرعية من الوزن الصرفي نفسه. مثال كلمة (طَحَنَ) فيدل على الحدث المجرد، و(يَطحنُ) على الفعل المضارع الذي يقترن بالفاعل، و(سيطحن) يدل على الفعل في المستقبل، و(اطحنْ) على الأمر، بينما (طَحَّان) دالة على اسم الفاعل بصيغة مبالغة تُحدِّد صاحب الحرفة، و(مَطحون) اسم مفعول للشيء الذي جرى عليه الفعل، و(الطاحونة والطحَّانة) تدلان على الآلة التي تقوم بعملية الطحن، سواء بالحركة المائية أو الحيوانية أو الميكانيكية (الداية:2009م ص21) ويُلاحظ الداية أن بعض الصيغ اشتُقّت للدلالة على أجزاء من الجسم تقوم بوظيفة مشابهة، مثل الطواحن بمعنى الأضراس التي تُحوّل الطعام من خشن إلى ناعم، وواحدتها طاحنة. وبهذا يبيّن الداية أن التطور الدلالي في الأبنية الصرفية قائم على

الجمع بين الدلالة الأساسية للجذر والدلالة الإضافية للوزن، فيتكوَّن بذلك حقل دلالي متكامل يجمع بين الأصل والوظيفة (الداية:2009م ص21) ويُبيّن الداية أن الحالة المعجمية للألفاظ تمثل الإطار الدلالي الأصلي الذي يحيط بها، وأن العودة إلى هذا الإطار ضرورية لتفسير ميل النقاد إلى الحصول على فهم خاص للمصطلح اللغوي. كما يوضح أن هذا المستوى من التحليل يكشف عن الفرق بين من يتعامل مع الكلمة من حيث دلالتها المعجمية المفردة، وبين من يتناولها من حيث تآزرها مع غيرها في توليد المعنى المركب، وهو ما يمكّن الباحث من التمييز بين نوعين من التحليل الدلالي: التحليل المعجمي الذي يدرس المفردة في ذاتها، والتحليل التركيبي الذي ينظر في علاقتها بسياقها ومعانيها الناتجة والوظيفة (الداية:2009م، ص21).

ويتبين مما سبق أن فايز الداية ينظر إلى الدلالة المعجمية بوصفها المعنى الأولي للكلمة كما يثبته المعجم، وقد عبّر عنها بمصطلحات متعددة، مثل: (المعنى المعجمي)، و(المعنى القاعدي)، و(المعنى الأساسي)، و(المعنى المركزي)، و(الدلالة المفردة)، وكلها تشير عنده إلى مفهوم دلالي واحد أما الدكتور هادي نهر فيرى أن الدلالة المعجمية تمثل المستوى الأول من مستويات المعنى في اللغة؛ إذ تُعنى بالعلاقة الثابتة بين اللفظ ومدلوله في الواقع الخارجي، فهي دلالة وحدانية المعنى وثبوت العلاقة بين الكلمة (الدال) والمسمى بها (المدلول)، حيث يقابل كل لفظ معنى مركزيًّا أو مسمّى محددًا في المحيط الخارجي. وبذلك تُعدّ هذه الدلالة المرجع الأساس في عملية التواصل اللغوي، إذ تتيح للناطقين باللغة فهماً مشتركاً للكلمة في معناها الأصلي قبل دخولها في أي سياق نحوي أو تركيبي (نهر :2007م، ص 216_217).

ويؤكد الدكتور هادي نهر أن علماء العربية الأوائل قد أدركوا أثر هذا المستوى من المعنى في توجيه المعنى النحوي، ومن ثمّ الدلالة التركيبية؛ إذ لم يفصلوا بين الدلالة المعجمية والبنية النحوية، بل رأوا أن كليهما يعملان في تكامل لتحقيق الدلالة المقصودة. فالوظائف النحوية مثل: الفاعلية والمفعولية والحالية والإخراجية والتمييزية تمثل ما أطلقوا عليه متممات الإسناد أو قيود الإسناد، وهي عناصر تحدد موقع اللفظ في التركيب وتوجّه دلالته في السياق. كما أن الحركات الإعرابية عندهم ليست مجرد علامات صوتية بل قرائن دلالية حاسمة تُبرز الفروق الدقيقة في المعاني بحسب اختلاف المواقع التركيبية. من خلال هذا الربط بين المعنى المعجمي والمعنى النحوي، يبرز الدكتور هادي نهر منهجه في تحليل الدلالة العربية بوصفها نظاماً متكاملاً يبدأ من المعجم وينتهي بالتركيب، مؤكداً أن الفهم الدقيق للتركيب لا يتحقق إلا باستحضار الدلالة المعجمية التي تُعدّ منطلقاً لكل تحليل دلالي(نهر :2007م، ص222).

ونجد أيضًا أن البعض يرى أن المعنى المعجمي قد لا يفي بالغرض لتحديد الدلالة بحسب السياقات وتنوعها، فمنهم الدكتور فايز الداية، " ثم إن هذا لا يعد نقصا في الدرس المعجمي، لأنّ المنوط به إيراد المعنى المشترك أو المركزي الذي يتشعب إلى مجموعة الحالات الجزئية التي تتباين وتتغاير بعدد السياقات التي تحل فيها، وأن الفروق أو ما نسميه بالظلال تتسع أو تضيق إلا أنها تبقى موصولة بالأصل الذي يرجع إليه في تثبيت الجدة الحادثة، أو اللمحة المضافة، ولذلك كله ليس في وسع المعجم أن يورد كل ظلال أو دلالة سياقية لأنه يتحول عندئذ إلى أعمدة من الألفاظ التفسيرية لا تكاد تنتهي" (نهر :2007م، ص 216_217) وتبيّن الباحثة أن هناك تباين منهجي في ربط المعنى المعجمي لدى كلٍّ من فايز الداية وهادي نهر؛ إذ

يتجه الداية إلى ربط توجيه الدلالة المعجمية بمعنى الصيغة الصرفية وما تحمله من قيمة وظيفية تسهم في تحديد مجال استعمال المادة اللغوية، بينما يركّز هادي نهر على ارتباط المعنى المعجمي بالبنية النحوية ووظائفها التركيبية، بوصفها العنصر الحاسم في توجيه الدلالة داخل السياق.

خصائص المعنى المعجمي عند المحدثين العرب:

ويشير الدكتور فريد عوض إلى أن المعنى المعجمي يتميز بخصائص مركزية، متعددة تجعل منه أداة أساسية لفهم بنية المعنى اللغوي قبل التطرق إلى السياق أو الاستخدام وهي(حيدر:2007م، ص51)

1. معنى عام: يُنظر إلى المعنى المعجمي على أنه معنى شامل وغير مقيد بسياق معين، أي أنه يمثل جوهر اللفظ في حد ذاته قبل أن يخضع لتحديد السياق الذي يقيده ويضبطه، مما يتيح للباحث دراسة المعنى في صورته الأساسية والثابتة.

2. معنى متعدد: للكلمة معانٍ متعددة في المعجم لأنها قابلة للاستخدام في سياقات متنوعة، ويكتسب كل سياق جديد معنى خاصًا للفظ، ويظهر هذا التعدد عند دراسة استخدامات الكلمة في النصوص العربية القديمة والحديثة، مما يعكس مرونة اللغة وقدرتها على إنتاج دلالات متباينة ضمن نظم سياقية مختلفة

3. معنى غير ثابت: دلالة الكلمة ليست ثابتة أو جامدة، بل هي قابلة للتطور والتحول بفعل عمليات التعميم أو التخصيص أو الانتقال بين مستويات المعنى، فقد ترتفع دلالتها أو تنخفض بحسب الاستخدام والسياق، وهو ما يُعرف عند الدكتور فريد عوض بـ التغير الدلالي للكلمة.

أما مفهوم الدلالة المعجمية أو ما يطلق عليها بالدلالة الاجتماعية عند الدكتور حمدي بخيت عمران هي الدلالة التي وضعها الأسلاف للألفاظ، وتكفلت المعاجم ببيانها على وفق ما ارتضته الجماعة اللغوية واصطلحت عليه، فهي تمثل المعاني الأصلية المتداولة في الحياة اليومية، والتي يكتسبها الفرد بالتلقين والسماع والقراءة، حتى يتمكن من السيطرة على لغة مجتمعه وقد عمل العرب على جمع تراثهم اللغوي في المعاجم التي مثّلت مرحلة لغوية محددة، هي عصر قوة اللغة العربية، غير أن هذه المعاجم - كما يشير الدكتور حمدي بخيت عمران - لا ترصد التغير الدلالي الذي يطرأ على الألفاظ بمرور الزمن، إذ تكتفي بتفسير الألفاظ كما وردت في زمن الجمع دون ملاحظة التطور في المعنى أو نسبته إلى مستعمليه الحقيقيين(عمران: 2007م، ص 49) ويفرّق الدكتور حمدي بخيت عمران بين الدلالة المعجمية والدلالة الاجتماعية من حيث النظر؛ فالأولى تعكس المعنى الذي استقر في المعاجم، أما الثانية فتمثل المعنى الحي المتحقق في التواصل الواقعي بين الناس، وهو الهدف الأساس في كل عملية لغوية. ويرى أن النطق بالأصوات والرموز اللغوية ما هو إلا وسيلة لتحقيق الفهم والإفهام الاجتماعيين. ويشير إلى أن المحدثين من اللغويين قد أولوا هذه الدلالة اهتماماً كبيراً، وجعلوها فرعاً مستقلاً في الدراسات اللغوية تحت اسم علم الدلالة (Semantics)، مشيرًا إلى أن كثيراً منهم لا يفرّق بين الدلالة المعجمية والاجتماعية، لأن المعاجم - قديمها وحديثها - تتخذ من الدلالة الاجتماعية للكلمات هدفًا أساسيًا (عمران: 2007م، ص50)

ويشير الدكتور حمدي بخيت إلى أن فهم الدلالة الاجتماعية لا يتحقق إلا من خلال سياق الحال الذي يضم صفات المتكلمين والسامعين ونشاطهم اللغوي وغير اللغوي، كالصمت، والضحك، والإشارة، وما يصدر عنهم من

استجابات، سواء أكانت لغوية أم غير لغوية(عمران: 2007م، ص50) وقد عَرَّف الدكتور أحمد نعيم كراعين الدلالة المعجمية "بأنها المعاني المتعددة التي يوردها المعجم للألفاظ المفردة، المرتبة ترتيبًا معينًا في لغة واحدة أو أكثر" (الكراعين :1993م، ص103) ويشير الدكتور أحمد نعيم كراعين أن الكلام عن الدلالة المعجمية، - فضلاً عن غموضها واختلاف الآراء حولها ـــ يدفعنا إلى تناول المعنى الأصلي أو الوضعي أو الحقيقي الذي استقر عليه الأصوليون والبلاغيون واللغويون فالأصوليون يربطون الحقيقة بالوضع الاصطلاحي، ولا سيما الحقيقة الشرعية، ولما تعددت عندهم الحقائق سعوا إلى ضبطها بحدود جامعة. أما البلاغيون، فنرى علماً من أعلامهم وهو السكاكي يضيف تعريفًا يتسم بالغرابة والغموض فالحقيقة عنده بأنها الكلمة المستعملة فيما تدل عليه بنفسها دلالة ظاهرة، وهو تعريف لا يخلو من غرابة وإشكال؛ إذ يثير تساؤلات حول كيفية دلالة الكلمة بنفسها، وإمكان تتبع ألفاظ اللغة لمعرفة واضعها الأول ودلالتها الأولى. ويبدو أن هذا التعريف يمكن تطبيقه - إلى حد ما - على الألفاظ ذات الدلالة الشرعية لارتباطها بنص محدد في زمن معين، وكذلك على بعض الألفاظ المرتبطة بالاختراعات العلمية في بيئات مخصوصة. غير أن تعميمه على سائر ألفاظ اللغة يظل إشكاليًا، لأن العلاقة بين الدال والمدلول علاقة اعتباطية، ولا ما يمنع من انحراف الدلالة وتغيرها بتعدد الأسباب والعوامل، الأمر الذي يجعل وصف المعنى بالحقيقي أو الوضعي قائمًا على الحدس والترجيح أكثر من قيامه على دليل لغوي قاطع (عمران :2007، ص 103_104) أما الدكتور فريد عوض فيشير إلى أن دراسة الدلالة المعجمية تتصل بفروع أساسية متعددة انبثقت عن علم اللغة الحديث، وتختص كل منها بدراسة الكلمة من منظور دلالي محدد، وهي:

1. علم الدلالة (Semantics): يركّز على دراسة المعنى اللغوي للكلمة، سواء على المستوى المعجمي أو السياقي (حيدر:2005م، ص48) (فحام:2016م، ص 13).

2. علم المفردات (Vocabulary): الذي يهتم بدراسة الألفاظ من حيث اشتقاقها وأبنيتها ودلالاتها، كما يعنى بالمترادفات والمشتركات اللفظية والتعابير الاصطلاحية والسياقية، وبذلك يوفر معلومات شاملة عن المواد اللغوية التي تُدرج في المعجم(القاسمي :2003م، ص 20) (مهدي :2011م، ص 23).

3. علم المعاجم (Lexicology): ويرتبط بعلم الدلالة ارتباطًا مباشرًا، ويعد فرعًا مستقلًا من فروع علم اللغة، إذ يختص بحصر مفردات اللغة وتصنيفها ودراستها، وبيان معانيها أو دلالاتها المعجمية، تمهيدًا للعمل المعجمي (خليل: 1999م،ص157) وقد لاحظ الدكتور فريد عوض أن الدلالة المركزية أو المعجمية تُعدّ الأساس الذي ينطلق منه أيَّ تحليل دلاليّ؛ إذ لا يمكن دراسة الكلمة إلا بعد تحديد الدلالة المعجمية لها. فهي تمثل الجوهر المشترك للفظ بين جميع أفراد المجتمع اللغوي، أيّ المعنى الذي يلتقي عليه مستخدمو اللغة، ولتوضيح ذلك، يستعمل الدكتور فريد عوض كلمة «بحر» الدلالة المركزية للكلمة هي المجرى الواسع المليء بالماء المالح، وهو القدر المشترك من الدلالة الذي يفهمه جميع أفراد المجتمع عند سماعهم للكلمة. مع ذلك، قد تختلف التجارب الشخصية والمشاعر المرتبطة باللفظ بين الأفراد: فبعضهم قد يشعر بالخوف عند سماع كلمة «بحر» نتيجة تجربة سابقة مؤلمة، بينما قد يشعر آخر بالفرح أو المتعة عند التمتع بالسباحة أو النظر إلى البحر. وبذلك، تؤكد الدلالة المركزية على أن المعنى الأساسي للكلمة مشترك بين جميع أفراد المجتمع

اللغوي، في حين تبقى الظلال الدلالية الخاصة والتجارب الفردية متغيرة ومتنوعة بين المستخدمين. ومن هذا المنطلق، تشكل الدلالة المعجمية نقطة الانطلاق لأي دراسة تحليلية للمعنى، فهي تعطي الباحث المرجعية الثابتة والموحدة قبل الانتقال إلى الدلالات الأخرى(حيدر :2005م، ص48-49) يتتبع الدكتور فايز الداية - في سياق علم الدلالة التطبيقي - معالجة (الدلالة المعجمية) عند النقاد العرب القدامى خصوصًا؛ إذ يظهر فيها وعي النقاد بأبعاد اللفظة ودلالاتها الجزئية وإن لم يستخدموا مصطلح «الدلالة» صراحة؛ فقد أكثر النقاد العرب القدماء من استعمال مصطلحي «الألفاظ» و«المعاني» في نطاقٍ عام يتصل بالدلالة، دون تقييدهما بمستوى اللفظ المفرد أو بالمصطلح الدلالي الدقيق. ولذلك، يدعو إلى تتبع الأعمال النقدية التي تُعنى بالمفردة الواحدة في سياق تحليل النصوص وشرحها (الداية :2009م، ص 62) ويشير الداية إلى أن هناك اتجاهين رئيسين في تعامل النقاد مع الألفاظ:

الأول: هو اتجاه الصواب والخطأ اللغوي، حيث يدرس الناقد دلالة اللفظة ليبيّن موضع الانحراف في استخدامها أو مدى دقتها في التعبير عن المعنى المقصود، وغالبًا ما يأتي ذلك ضمن مناقشات نقدية تهدف إلى الكشف عن الغموض أو اضطراب الدلالة في الشعر أما الاتجاه الثاني فهو التطور الدلالي، حيث يتتبع الناقد تحولات المعنى عبر الزمن، مبيّنًا الفروق بين الدلالة الأصلية للفظة ودلالتها الجديدة في استعمال الشاعر، ومظهرًا كيف يمكن أن تتوسع أو تتضيق دلالة اللفظة أو تنتقل من مجالٍ إلى آخر بحسب التطور الدلالي(الداية :2009م، ص 62-63) لاحظ فايز الداية أن الآمدي (ت370هـ) قد أولى عنايةً خاصة بدراسة الألفاظ المفردة وتحليلها، مخصصًا لهذا الجانب جهدًا واضحًا يفوق ما بذله النقاد الآخرون، ويمتاز

الآمدي في هذا المجال بمنهج دلالي تطبيقي يسعى من خلاله إلى تفصيل جوانب دلالة اللفظة الواحدة، والبحث في موضعها الصحيح، ومقارنتها بمرادفاتها المحتملة. كما يقرن حكمه بالسياق الذي ترد فيه الكلمة، مبيّنًا مدى ملاءمتها في ضوء حدودها الدلالية الفردية، وعلاقتها بالمفردات الأخرى التي تجتمع معها في السياق لخدمة مقصد تعبيري معين (عمر:2006م، ص54-55).

ويقرر الدكتور فايز الداية أن الآمدي لا يُعنى في جميع المواضع بضبط المصطلحات الدلالية ضبطًا منهجيًا دقيقًا؛ إذ يجد له أمثلة تستعمل فيها مصطلحي اللفظ والمعنى في نطاق الدلالة الفردية، في حين تفتقر أمثلة أخرى إلى النصّ الصريح على المصطلح، على الرغم من اشتمالها على المضمون الدلالي ذاته. ويثير هذا المنهج لدى الآمدي قضيةً على قدر كبير من الأهمية، تتمثل في مدى وعي النقاد العرب القدامى بمسائل الدلالة وتحليلها، حتى في الحالات التي لم يوظفوا فيها مصطلحات اصطلاحية محددة (عمر:2006م، ص54-55) لذلك حدد فايز الداية المواضيع التي صرح فيها الآمدي بمصطلح اللفظ والمعنى قاصداً الدلالة المفردة في تعليقه على بيت أبي تمام:

هُنَّ عَوادي يوسُفٍ وَصَواحِبُه فَعَزماً فَقِدماً أَدرَكَ الثَّأر طالِبُه

(الآمدي، ص 20) فقوله: «عوادي يوسف وصواحبه»، موضحًا أن لفظة «عوادي» تعني «صوارف»، أي ما يصرف الإنسان ويمنعه عن أمرٍ ما. ويُقال في العربية: عداني عنك كذا أي صرفني. فالشاعر أراد الإشارة إلى الصوارف التي صرفت يوسف عن أمرٍ ما، كالتقوى أو العزم أو الهوى، إلا أنه لم يُحدد جهة الصرف، فجاء اللفظ ناقص الدلالة ما لم يُستكمل بسياقٍ يوضح ما صُرف عنه يوسف. فـ (عوادي يوسف وصواحبه) مثالاً تطبيقياً

على أن بعض الألفاظ في اللغة لا تؤدي معناها تامًّا إلا بقرينةٍ مخصِّصةٍ توضح وجه الدلالة، فهي ألفاظ «غير قائمة بنفسها» لأنها تحتمل أكثر من وجه دلالي. فلو قال الشاعر مثلاً: (هواتن يوسف) أو (شواعف يوسف) لكان اللفظ قائماً بذاته، لأن معناه يُفهم دون حاجة إلى تحديد إضافي، أما لفظة «صوارف» (عوادي) فهي محتملة وتحتاج إلى توضيحٍ بسياقٍ لاحق (الداية :2009م، ص 55) (مهدي:2011م، ص45) وهذا ما لاحظه الداية، عند الآمدي أن دلالة بعض الألفاظ قد لا تتحقق بالكامل ما لم يُحدد سياق استخدامها؛ إذ يمكن أن تأخذ أكثر من وجه دلالي بحسب الموقف الذي تُستعمل فيه، كما في لفظة (صوارف)، وفي المقابل، هناك ألفاظ أخرى تفي بمعناها مباشرة دون حاجة إلى سياق محدد، فلا تؤدي الظلال أو التعدد إلى تعتيمًا أو إبهام في الدلالة، كما في ألفاظ (هواتن، شواعف) (الداية :2009م،ص 56) وقد خَلَص الدكتور فايز الداية إلى أن النقاد، ولا سيما الشراح، يمنحون اهتمامًا بالغًا بالدلالة، حيث ينحون منحًى دلاليًا واضحًا في تحليل المفردة، من دون الالتزام بترتيب المواد أو اتباع اصطلاحات محددة للفظ والمعنى، بل يركزون على إبراز الدلالة الجوهرية للفظة في سياقها واستعمالها (الداية :2009م،ص63) أما الدكتور هادي نهر فقد لاحظ أثر (الدلالة المعجمية) عند الأصوليين والمفسرين العرب، إذ يُبرز ملاحظة دقيقة تتصل بطبيعة الدلالة المعجمية في اللغة العربية، مبيناً أن العلماء القدامى قد التفتوا إلى أن هذا النوع من الدلالة يكون أوضح ما يكون في الألفاظ المحددة ذات المعنى الواحد، مثل الألقاب، والمصطلحات، والأسماء الخاصة التي لا تحتمل إلا دلالة تعريفية واحدة. وقد حظي ذلك باهتمام علماء الأصول، فبحثوا في ثبات المعنى ووضوحه، بينما رأى المفسرون أن هذه الدلالة تنطبق على الآيات القرآنية التي بقيت

على معناها الأصلي، مثل الآيات الدالة على وجود الله وتوحيده وصفاته، كالآيات من سور الحشر والواقعة، وهي عندهم من المحكمات التي لم يدخلها نسخ أو تأويل (نهر:2007م ص218) ثم يوضح هادي نهر أن الدلالة المعجمية على الرغم من ثباتها النسبي تميل إلى التعدد والمرونة، لأن كثيراً من الألفاظ في العربية يتسع معناها أو يتغير بحسب السياق، فلا تُفهم دلالتها الدقيقة إلا في ضوء موقعها في الكلام. وهذا التنوّع في المعنى أدى إلى اختلاف العلماء في تفسير الألفاظ القرآنية، فظهرت مؤلفات متعددة مثل (غريب القرآن) و(غريب الحديث) و(اللغات في القرآن)، هدفها تفسير الألفاظ الغامضة وبيان تطورها الدلالي(نهر:2007م، ص218_219) (سعيد:2016م، ص 32) ورأي هادي نهر أن الوعي اللغوي عند العلماء الأوائل تجاوز حدود المعجم، إذ أدركوا أن المعنى لا يكتمل إلا بتفاعل اللفظ مع السياق القرآني، وأن الدلالة المعجمية تشكّل الأساس الثابت الذي تنبني عليه الدلالات السياقية والتفسيرية في النص العربي (نهر:2007م، ص219) (طه:2016، ص 20) وايضًا تناول الدكتور فريد عوض مفهوم الدلالة المعجمية من أثناء دراستها في المعاجم العربية، متتبعاً منهج المعجميين في عرض المعاني وتحليلها، وقد اعتمد في دراسته على نموذجين تطبيقيين هما: تاج العروس والمعجم الوسيط (حيدر :2005م، ص 51) مركزية الدلالة المعجمية في التطبيق الدلالي:

يلاحظ الدلاليون المحدثون أن الدلالة المعجمية حجر الأساس الذي تتفاعل معه بقية الدلالات التركيبية، والسياقية، وتتبدى في الاستعمال من معناها المعجمي الأساس إلى معانٍ متعددة ومتنوعة بفعل جملة من المتغيرات الاجتماعية والثقافية إلى دلالات أوسع أو أضيق أو تتحول إلى أخرى غيرها أو تتطور بما ينسجم مع السياق الدلالي الجديد؛ فقد بيّن

الدكتور فريد عوض، في أثناء دراسته لكلمة «أبر» في تاج العروس، حيث كشف عن تعدد الدلالات المعجمية للكلمة التي يمكن إرجاعها إلى دلالتين رئيسيتين: (حيدر :2005م، ص 54)

1. الدلالة على الإصلاح، كما في عبارة تأبير النخل، أي إصلاحها.
2. الدلالة على الإفساد، كما يظهر في استعمال الكلمة للدلالة على النميمة أو الاغتياب.

ويلاحظ هنا أن هاتين الدلالتين متضادتان، ويُعزى هذا التباين إلى التغير الدلالي الذي يطرأ على الكلمة بحسب السياق والاستخدام. فـ«أبر» تظهر في معانٍ متعددة: كالإبرة بمعنى مسلة الحديد أو المخيط، وكعظم أو وتر العرقوب، وطرف الذراع من اليد، وفيل المقل، وكلها حالات مجاز العلاقة المشابهة. كذلك تأتي «أبر» بمعنى إبرة العقرب، ومن هذا الاستخدام تولّدت الدلالات الإضافية للنميمة، وإفساد ذات البين، والاغتياب، إذ يقوم ربط المعنى بالعلاقة المشابهة بين من يغتاب وبين العقرب التي تأبر، وأما أبر بمعنى أصلح فلان من يأبر النخل يصلحها، وتوسع مفهوم «أبر» ليشمل كل مصلح صنعة، وهو تعميم للدلالة الأساسية للكلمة. ويوضح فريد عوض إلى أن هذه المداخل الثلاثة تحقق خصائص المعنى المعجمي، فكل منها متعدد الدلالات، ولا تحصره دلالة واحدة ثابتة، ما يعكس حدوث التغير الدلالي واستمرار تحول المعنى بحسب السياق والاستخدام (حيدر :2005م، ص 54) (جعفر:2015م، ص19) وفي المعجم الوسيط، يؤكد عوض استمرار هذا النمط الدلالي للكلمة، إذ يبرز تعدد الدلالات وتفاعلها مع السياق، ما يوضح أهمية دراسة التحولات المعجمية في رصد تطور المعنى لدى العرب القدماء والمعاصرين على حد سواء إذ تتوزع عناصر المعنى المعجمي لكلمة «أبر» على ثلاثة مستويات:

1. الدلالة المركزية: المعنى الأساسي للكلمة، ويشمل البعد الاجتماعي مثل أبر بمعنى لقح النخل أو لدغ العقرب، وكذلك وصف من يقوم بعملية التلقيح.
2. الدلالة الهامشية: المعاني المشتقة والمجازية، مثل الإبرة بمعنى المخيط، ولسع النحلة، والنميمة والاغتياب، والمسلة الحديدية، وإبرة الفونوغراف والمغنطيسية.
3. درجة التطابق: تقوم على العلاقة المجازية بين الدلالة المركزية والهامشية، إذ تنشأ المعاني الجديدة من التوسع المجازي للمعنى الأصلي، ما يعكس التغير الدلالي ومرونة الكلمة في الاستخدامات المختلفة (حيدر :2005م، ص 55) (فحام:2016م، ص41).

الخاتمة:

توصلت هذه الدراسة إلى أن الدلالة المعجمية تمثل الأساس الأولي في بناء المعنى، غير أنها لا تعمل بمعزل عن السياق اللغوي وبقية المستويات اللسانية، وقد بيّنت آراء اللغويين العرب المحدثين أن المعنى المعجمي يكتسب قيمته الدلالية الكاملة من خلال تفاعله مع السياق، مما يؤكد الطابع الوظيفي والدينامي للدلالة. كما أظهرت الدراسة أن التكامل بين الدلالة المعجمية والدلالة السياقية يُعدّ مدخلًا أساسًا لتحليل النصوص تحليلًا دلاليًا دقيقًا، وبذلك تتأكد أهمية إعادة النظر في وظيفة المعجم العربي، والانتقال به من مجرد سجلّ للمعاني إلى أداة تفسيرية تسهم في فهم الاستعمال اللغوي.

نتائج البحث:

1. أثبتت الدراسة أن الدلالة المعجمية تمثل المستوى الدلالي الأول في فهم المعنى.
2. تبيّن أن المعنى المعجمي ليس ثابتًا، بل يتغيّر تبعًا للسياق والاستعمال.
3. جود علاقة تكاملية وثيقة بين الدلالة المعجمية والدلالة السياقية.
4. أسهم اللغويون العرب المحدثون في تطوير مفهوم الدلالة وربطه بالتحليل التطبيقي.
5. للدلالة الصرفية والتركيبية دور فاعل في توجيه المعنى المعجمي.
6. لا يكفي الاعتماد على المعجم وحده في تفسير المعنى دون مراعاة السياق.

المصادر والمراجع:

- الآمدي، د.ت، سيف الدين علي بن محمد، أبو الحسن، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط4، دار المعارف- مصر.
- الداية، فايز،2009م، علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق (دراسة تاريخية تأصيلية نقدية)، ط8، دار الفكر- دمشق.
- حيدر، فريد عوض،2005م، علم الدلالة (دراسة نظرية وتطبيقية)، ط6، مكتبة الآداب، القاهرة.
- عمر، أحمد مختار، 2006م، علم الدلالة، ط6، مكتبة عالم الكتب - القاهرة.
- عمران، حمدي بخيت، 2007م، علم الدلالة بين النظرية والتطبيق،ط1، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي-القاهرة.

- القاسمي، علي،2003م، المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق، ط1، مكتبة لبنان.
- نهر، هادي،2007م، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد- الأردن.
- الكراعين، أحمد نعيم،1993م، علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع-بيروت.
الرسائل والأطاريح:
- ربيعة برياق، 2012م، الدلالة المعجمية عند العرب دراسة نظرية وتطبيقة و(أطروحة كتوراه)، جامعة العقيد الحاج لخضر، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وأدابها.
البحوث والدوريات:
- جعفر، مشتاق قاسم،2015 م، المنهج المعجمي في تحليل النص الشعري المصاحبات المعجمية انموذجا، مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية جامعة بغداد كلية التربية ابن رشد العدد (212) المجلد الأول.
- سعيد، .م. د. محمد قاسم، 2016م، من مظاهر توظيف القراءات القرآنية في المعاجم العربية- أثر اختلاف البنى في تعدد المعاني المعجمية -، مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية جامعة بغداد كلية التربية ابن رشد العدد (218)، المجلد الأول.
- طه، أطياف علاء ياسين، السياق اللغوي والتغير الدلالي في أساس البلاغة للزمخشري، مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية جامعة بغداد كلية التربية ابن رشد، ملحق العدد (219).

- فحام، م. د. صفاء توفيق فحام، 2016م، الدلالة في غرر الآيات القرآنية، مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية جامعة بغداد تربية ابن رشد، العدد (219)، المجلد الأول.
- مهدي، د. جنات محمد، 2011م، دلالة المفردة القرآنية في بيان لغة الجسد والإيحائية، مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية جامعة بغداد كلية التربية ابن رشد العدد (168).